الفصل الحادي والثمانون

التنظيم الديني

وكان لنصارى العرب تنظيمهم الخاص بدور العبادة وبالتعليم والإرشاد ، وهو تنظيم أخذ من تنظيم الكنيسة العام ، ومن التقاليد التي سار عليها آباء الكنيسة منذ أوائل ايام النصرانية حتى صارت قوانين عامة. فللكنيسة درجات ورتب، وللمشرفين عليها منازل وسلالم ، وقد اقتبست هذه التنظيمات من الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عاشت فيها النصرانية منذ يوم ولادتها ، والتي وضعها رؤساؤها لنشر الديانة ولتنظيم شؤون الرعية ، حتى صارت الكنيسة وكأنها حكومة من الحكومات الزمنية، لها رئيس أعلى ، وتحته جماعة من الموظفين ، لها ملابس خاصة تتناسب مع درجاتهم ومنازلهم في مراتب الحكومة ، ولهم معابد وبيوت وأوقاف وسيطرة على أتباعهم، جاوزت أحياناً سيطرة الحكومات .

ومن الألفاظ التي لها علاقة بالدرجات والرتب الدينية عند النصارى لفظة (البَطْرك) و (البطريق) . وقد وردت لفظة (البطريق) في شعر ينسب إلى (أمية بن أبي الصلت)[1] .

---

١ **من كل بطريق لبطريق نقى الوجه واضح ــ تاج العروس (٢٩٦/٦)** ، النصرانية وادابها ، القسم الثانى ، الجزء الثانى ، القسم الاول (ص ١٩١) ، تاج العروس (١١١/٧) (الطبعة الاولى بمصر ، مطبعة مصر) ، اللسان (٢١٢/١٠ ، ٤٠١) ، (دار صادر) « بيروت ١٩٥٦ » ، البستان (١٥٧/١١) ، « بيروت ١٩٢٧ » ، محيط المحيط (١٠٢/١) « بيروت ١٨٦٧ م » ، مروج (١٩٩/٢) ، صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، (القاهرة ١٩١٥ م) « المطبعة الاميرية » .

وقد ذهب علماء اللغة الى ان (البطرك) ، هو مقدم النصارى ، وهو في معنى (البطريق) أيضاً . وقالوا أيضاً إن البطريق مقدم جيش الروم . و (البطرك) من أصل يوناني هو «Patriarkhis» (بْريارخيس) ، ومعناه (أبو الآباء) ، وذلك لأنه الأب الأول والأعلى للرعية ، فهو أب الآباء ورئيس رجال الدين . أما لفظة البطريق ، فإنها من أصل لاتيني ، هو Patrikios ، وهو يعني وظيفة حكومية وتعني درجة (قائد) في المملكة البيزنطية[1] . فلا علاقة لها اذن بالتنظيم الديني للنصرانية .

وبين البطريق (البطرك) والأسقف منزلة يقال لشاغلها (المطران) ، وقد عرف بأنه دون البطرك وفوق الأسقف . وقد وسمه (القلقشندي) ، بأنه القاضي الذي يفصل الخصومات بين النصارى[2] . واللفظة من الألفاظ المعربة عن اليونانية ، أخذت من (متروبوليتيس) « Mitropolitis » أي مختص بالعاصمة ، أو المدينة[3] . وقد ذكر علماء اللغة ان لفظة (المطران) ، ليست بعربية محضة[4] .

والأسقف من الألفاظ التي تدل على منزلة دينية عند النصارى ، وقد وردت في كتب الحديث . وقد ذكر بعض علماء اللغة انه انما سمي أسقف النصارى أسقفاً لأنه يتخاشع[5] . واللفظة من الألفاظ المعربة المأخوذة عن اليونانية ،فهي(ابسكوبوس) « Episkopos » في الإغريقية ، وقد نقلت منها إلى السريانية ، ثم نقلت منها الى العربية[6] . وقد وردت في كتب التواريخ والسير ، حيث ورد في شروط الصلح التي عقدها الرسول مع أهل نجران ، شرط هو : « لا يغير أسقف عن أسقفيته ولا راهب عن رهبانيته » .

---

١ النصرانية وآدابها ، القسم الثانى ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩٠ وما بعدها) ، غرائب اللغة (ص ٢٥٥) .

٢ صبح الاعشى (٤٧٢/٥) .

٣ محيط المحيط (١٩٨٧/٢) ، غرائب اللغة (ص ٢٦٩) .

٤ تاج العروس (٥٤٦/٣) ، « مطر » ، النصرانية (١٩١) ، البلدان (١٢٢/٤) ، « ديارات الاساقفة » .

٥ اللسان (٥٦/١١) ، البلدان (١٢٢/٤) ، تاج العروس (١٤١/٦) ، صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، مقدمة ابن خلدون (٢٣٤) ، تأريخ ابن خلدون (٢٧ ، القسم الاول ص ٢٩٧) ، اللسان (١٥٦/٩) « صادر » .

٦ النصرانية وآدابها ، القسم الثانى ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩١) ، غرائب اللغه (ص ٢٥٢) ، محيط المحيط (٩٧٠/١) ، البستان (١١١/١) ، النهاية فى غريب الحديث (٢٣٧/٤) .

والقس من الألفاظ الشائعة بين النصارى ، ولا تزال مستعملة حتى الآن . ويقال لها (قسيس) في الوقت الحاضر أيضاً. وهي من أصل آرامي هو « Gachicho » ومعناه ، كاهن وشيخ[1] . وقد جمعها (أمية بن أبي الصلت) على (قساقسة)[2]. وذكر بعض علماء اللغة أن « القس والقسيس العالم العابد من رؤوس النصارى » وأن « أصل القس تتبع الشيء وطلبه بالليل . يقال تقسست أصواتهم بالليل ، أي تتبعتها »[3] . وقد وردت لفظة (قسيسين) في القرآن الكريم : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون »[4] . ويدل ذلك على أن موقف النصارى تجاه الاسلام كان أكثر مودة من موقف يهود . وقد نسب ذلك الى القسيسين والرهبان .

وترد لفظة (شماس) في جملة الألفاظ التي لها معان دينية عند نصارى الجاهلية. وهي من الألفاظ الحيّة التي لا تزال تستعمل في هذا اليوم أيضاً. وتعد من الألفاظ المعربة عن السريانية . وهي « Chamocho » في الأصل ، وتعني خادم ، ومنها البيعة . فهي اذن ليست من الوظائف الدينية الكبيرة ، وإنما هي من المراتب الثانوية في الكنيسة[5] . وقد ذكر بعض العلماء بأن الشماس يحلق وسط رأسه ويجعل شعره من جوانب رأسه على شكل دائرة ، وهو الذي يكون مسؤولاً عن الكنيسة ، ويكون مساعداً للقسيس في أداء واجباته الدينية ، وفي تقديس القداس أيام الآحاد والأعياد . يعمل كل ذلك للتعبد ، وليس لأخذ المال والتكسب[6] .

---

١ غرائب اللغه (ص ٢٠١) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩٢) .

٢ لو كان منفلت كانت قساقسة يحييهم الله في أيديهم الزبر
تاج (٢٠٧/٤) .

٣ تاج العروس (٢١٦/٤) ، محيط المحيط (١٢٢١/١) ، تاريخ ابن خلدون (حـ ٢ قسم ١ ص ٢٩٧) .
المفردات ، للاصفهاني (ص ٤١٢) ، اللسان (١٧٤/٦) « صادر » صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، مقدمة ابن خلدون (ص ٢٣٣) .

٤ المائدة ، الاية ٨٥ ، أسباب النزول (١٥٢) ، تفسير الطبري (٢/٧) .

٥ النصرانية وادابها ، القسم الثانى ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩٣) ، غرائب اللغة (ص ١٩١) .

٦ اللسان (١١٤/٦) « صادر » محيط المحيط (١٢٢١/١) ، صبح الاعشى (٥/ ٤٧٢) ، ابن خلدون (٢٩ ، القسم الاول ، ص ٢٩٧) ، البستان (١٢٥٩/١) .

وورد في كتاب رسول الله الى سادة نجران : « لا يغير أسقف عن سقيفاه، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا واقف عن وقفانيته »[1] . ويظهر من هذا الكتاب ان الواقف منزلة من المنازل الدينية التي كانت في مدينة نجران . والظاهر انها تعني الواقف على أمور الكنيسة ، أي الأمور الادارية والمالية والمشرف على أوقافها وأملاكها . فهو في الواقع مسؤول اداري ، اختصاصه الاشراف على الأمور المتعلقة بسير ادارة الكنيسة وأموالها . إذ لا يعقل ان يكون الواقف بمعنى خادم البيعة الذي يقوم بالخدمة بمعنى التنظيف والأعمال البسيطة الأخرى ، إذ لا يعقل النص على مثل هذه الدرجة في كتاب صلح الرسول مع سادة نجران . وقد ذكر بعض علماء اللغة : « الواقف خادم البيعة ، لأنه وقف نفسه على خدمتها »[2] . ولا يعني هذا التفسير بالضرورة الخدمة على النحو المفهوم من الخدمة في الاصطلاح المتعارف. فقد كان الملوك والسادات يلقبون أنفسهم بـ (خادم الكنيسة) و (خادم المعبد) ، أي بالمعنى المجازي . ولا يكون خادماً صارفاً وقته كله في تنظيف الكنيسة وفي القيام بالأعمال التي يقوم بها الخادم الاعتيادي .

وهناك لفظة أخرى لها علاقة بالكنيسة وبالبيعة وبالنواحي الادارية منها ، هي لفظة (الوافه) و (الواقه) . وقد عرفوا صاحبها بـ (قيم البيعة التي فيها صليب النصارى) ، وفي هذا المعنى أيضاً لفظة (الواهف) ، حيث قالوا : « الواهف سادن البيعة التي فيها صليبهم وقيمها ، كالوافه وعمَلُها الوهافة » ، والوهفية والهُفّية . والظاهر انها كلها في الأصل شيء واحد ، وانما اختلف علماء اللغة في ضبط الكلمة ، فوقع من ثم هذا الاختلاف بينهم[3] . فالوظيفة اذن ، هي بمنزلة الخازن القيم على شؤون الصليب ، يحفظه من السرقة ، ويضعه في خزانة أمينة ، فإذا حانت أوقات العبادة وضعه في موضعه . فالصليب ثمين، وفيه ذهب

---

١ ابن سعد ، الطبقات (١/٣٥٨) « طبعة صادر » ، « لا يغير أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا وافه من وفاهيه » ، النهاية في غريب الحديث (٤/٢٣٧) ، « واقه من وفاهينه » ، البلاذري ، فتوح (٧٢) ، (صلح نجران) ، اللسان (١٧/٤٥٩) ، تاج العروس (٩/٤٢١) ، العائق (٢/٣١٧) ، النهايه (٤/٢٤٠) .

٢ تاج (٦/٢٦٩) ، النصرابية وادابها ، القسم التانى ، الجزء الماني ، القسم الاول (ص ١٩٣) اللسان (٩/٣٦٠) ، « صادر » .

٣ تاج (٦/٣٧٣) ، (٩/٤٢١) ، المخصص (١٣/١٠٠) ، اللسان (١٣/٥٦١) « صادر » ،

في الغالب ، لذلك يكون هدفاً للسراق[1] .

ويلاحظ أن علماء الحديث والتأريخ والسير ، ليسوا على اتفاق فيما بينهم في تدوين نص كتاب الصلح الذي أعطاه الرسول لأهل نجران ، إذ تراهم يختلفون في ضبط نصه : وفي جملة ما اختلفوا فيه جملة : « ولا واقه من وقاهيته » ، فقد كتبوها بصور شتى كما رأيت ، كما كتبوا النص بأشكال متباينة ، مما يدل على أن الرواة قد اعتمدوا على نسخ متعددة للكتاب ، وعلى أن أهل نجران كانوا قد نسخوا منه نسخاً ، تحرفت نصوصها بالاستنساخ ، لعدم تمكن الناسخ من ضبط العبارات ضبطاً صحيحاً . فلما دوّن العلماء صورة النص تباينوا في تدوينه ، وأوجدوا لهم تفاسير للفظة (واقف) و (وافه) و (واقه) ، وهي لفظة واحدة في الأصل ، قرأها النساخ ثلاث قراءات ، فظهرت وكأنها ألفاظ مختلفة . وحاروا في تعليل المعنى ، فقال بعضهم الوافه : قيم البيعة بلغة أهل الجزيرة ، وقال بعض آخر بلغة أهل الحيرة ، وقال بعض : كلها في معنى واحد[2] .

وهناك مصطلحات دينية أخرى استعملها النصارى للدلالة على درجات رجال دينهم ، مثل (بابا)،وهي كلمة (رومية) وهو أعلى مرجع في نظر النصارى (الكاثوليك)[3] ، و (والجاثليق) ، وهو رئيس أساقفة بلد ما ، والأعلى مقاماً بينهم ، وقد أطلقت اللفظة على رئيس نصارى بغداد في العهد العباسي[4] ، وهي من أصل يوناني هو (كاثوليكوس) Katholikos ، ومعناه عام[5] .

والساعي من الألفاظ التي تتناول المنازل والدرجات عند النصارى ، وتشمل اليهود أيضاً . ويقصد بها الرئيس المتولي لشؤون اليهود أو النصارى، فلا يصدرون رأياً إلا بعد استشارته ، ولا يقضون أمراً دونه . وقد ورد في حديث حذيفة في الأمانة : « إن كان يهودياً او نصرانياً ليردنه على ساعيه »[6].

---

١ النصرانية وادابها ، القسم الباني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩٤) .
٢ اللسان (٤٥٩/١٧) ، تاج العروس (٤٢١/٩) . النهابه (٢٤٠/٤) .
٣ صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، تاريخ ابن خلدون (حـ ٢ القسم الاول ، ص ٢٩٧) ، مقدمة ابن خلدون (ص ٢٣٤) ، غرائب اللغة (ص ٢٧٧) .
٤ تاج العروس (٣٠٥/٦) ، صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، محيط المحيط (٢١٤/١)، البستان (٣٠٩/١) .
٥ عراتب اللغه (ص ٢٥٦) .
٦ تاج العروس (١٧٨/١٠) « سعى » ، اللسان (٣٨٧/١٤) ، محيط المحيط (٩٦٠/١) ، النصرانية (١٩٢) .

ولفظة (بابا) وما بعدها ، هي من الألفاظ التي شاع استعمالها في العربية في الاسلام ، وليس لدينا ما يفيد استعمالها بين الجاهليين .

وذكر علماء اللغة أن من الألفاظ المعروفة بين النصارى لفظة (العسطوس) ، ويراد بها القائم بأمور الدين ، وهو رئيس النصارى[1] .

أما (الراهب) ، فهو المتبتل المنقطع الى العبادة . وعمله هو الرهبانية . وقد ذكر بعض علماء اللغة ان الرهبانية غلوٌ في تحمّل التعبد من فرط الرهبة[2] . وقد ذكرت الرهبانية في القـرآن الكريم[3] ، وذكرت في الحديث . وقد نهى عنها الاسلام : « لا رهبانية في الاسلام » . وقد ندد القـرآن الكريم في كثير من الأحبار والرهبان ، فورد : « إن كثيراً من الأحبـار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل »[4] . ويظهر من ذلك ان جماعة منهم كانت تتصرف بأموال الناس التي تقدم إلى الأديرة والبيع ، فيعيشون منها عيشة مترفة ، لا تتفق مع ما ينادون به من التقشف والزهد والعبادة . كما ان منهـم من عاش عيشة رفيهة وبطر ، فتكبر عن الناس وترفّـع ، حتى جعلوا أتباعهم يحيطونهم بهالـة من التقديس والتعظيم ، الى درجة صيرّتهم أرباباً على هذه الأرض . فتقربوا اليهم وقدّسوهم قدسية لا تليق إلا للخالق . « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله »[5] . ذلك انهم كانوا يحلّون لهم ما حرم الله فيستحلونه ويحرّمون ما أحل الله لهـم فيحرمونه . « أما انهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلوه واذا حرموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرموه ، فتلك

---

١ تاج العروس (٤/١٩٢) ، اللسان (٦/١٤١) ، محيط المحيط (١/١٣٩٦) .

٢ المفردات ، للاصفهاني (ص ٢٠٣) ، اللسان (حـ ١/٤٣٧) « صادر » القاموس (١/٧٦) ، تاج العروس (١/٢٨١) ، الصحاح ، للجوهري (١/١٤٠) .

٣ المائدة ، الاية ٨٢ ، التوبة ، الاية ٣١ ، ٣٤ ، سورة الحديد ، الرقم ٥٧ ، الايـه ٢٧ ، مجمع البيان (٧/١٥٨) ، تفسير الفخر الرازي (١٢/٦٦ وما بعدها) ، روح المعاني (٦/٨ وما بعدها) ، النهاية ، لابن الاثير (٢/١٢٠) .

٤ التوبة ، الرقم ٩ ، الاية ٣٤ ، مجمع البيان (١٠/٤٨) . تفسير الطبري (٧/٨ وما بعدها) ، تفسير الخازن (٧/٢٣٣ وما بعدها) ، تفسير أبي السعود (٤/١٤١ وما بعدها) ، المقريزي ، السلوك من معرفة سير الملوك (١/١٨٢) ، (دار الكتب المصرية ١٩٣٦) ، السيوطي ، الدر المنثور (١٠/٧٥) .

٥ التوبة ، الرقم ٩ ، الاية ٣١ ، جامع البيان (١٠/٨٠) ، الكشاف (٢/٣١) ، روح المعاني (١٠/٧٥) ، تفسير الخازن (٢/٢١٦) .

كانت ربوبيتهم »[1] . وكانوا يطيعونهم طاعة عمياء ، ويأخذون عنهم، ويقدسونهم، ويقبّلون أيديهم ولا يعصون أمراً لهم . وذكر ان (عدي بن حاتم) الطائي ، قال لرسول الله لما سمعه يقرأ : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» ، « يا رسول الله ! إنا لسنا نعبدهم . فقال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله ، فتحلونه ! قال : قلت بلى . قال فتلك عبادتهم »[2] .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ، أن من الرهبان من بالغ في الترهب وفي التزهد ، فخصى نفسه ووضع السلاسل في عنقه أو في يديه أو رجليه ليحبس نفسه ، وامتنع عن المآكل والأطايب ، مكتفياً بقليل من الماء وبشيء من الخبز الخشن ، وأن منهم من امتنع عن الكلام وصام معظم أوقاته ، وابتعد عن الناس متخذاً من الكهوف والجبال والمواضع النائية الخالية أماكن للتأمل والتعبد . وذلك كما يظهر من نهي الرسول عن الرهبنة والرهبانية ، وحمل الاسلام عليها . لأنها تبعد الناس عما أحل الله وقد عوض الاسلام عنها بالجهاد في سبيل الله[3] .

ومن عادات الرهبان وتقاليدهم التي وقف عليها أهل الجاهلية ، الامتناع عن أكل اللحوم والودك ، أبداً أو أمداً ، وحبس النفس في الأديرة والصوامع ، والكهوف ، والاقتصاد على أكل الصعب من الطعام والخشن من الملبس ، ولبس السواد والمسوح . وهي عادة انتقلت الى الأحناف أيضاً والى الزهّاد من الجاهليين الذين نظروا نظرة زهد وتقشف الى هذه الحياة[4] . كما كانوا لا يهتمون بشعورهم فكانوا يطلقونها ولا يعتنون بها ولذلك كانت شعورهم شعثاً ، وعبّر عن الراهب

---

١ تفسير الطبري (١٠/٨٠ وما بعدها) ، تفسير أبي السعود (٥/١٤٢) ، تفسير الطبرسي (٥/٢٢) .

٢ تفسير الطبري (١٠/٨٠ وما بعدها) ، « بولاق » .

٣ النهاية في غريب الحديث ، لابن الاثير (ص ١٦٣) (٢/١٢٠) « المطبعة الخيرية »، اللسان (١/٤٣٧ وما بعدها) ، تاج العروس (١/٢٨٠ وما بعدها) ، القاموس المحيط (١/٧٦) ، محيط المحيط (١/٨٠٦) ، مجمع البيان (٧/١٥٨) ، (٦/ ١٧٦) ، جامع البيان (٢٧/٢٣٨) ، (١٠/١١٤ ، ١١٧) ، الكشاف ، للزمخشري (٤/٦٩) . (٢/٣١) ، (١/٤٣) ، روح المعاني (٢٧/١٦٥) ، (١٠/٧٥) ، (٧/٣) ، الدر المنثور (١٠/٧٥) ، صحيح مسلم (٨/٢٢٩) « كتاب الزهد » ، اللسان (١/٤٣٧) « صادر » .

٤ تفسير الطبري (٧/٨) « الطبعة الثانية ١٩٥٦ م » ، تفسير أبي السعود ، (٤/ ١٤١ وما بعدها) ، تفسير الرازي (١٢/٦٧ وما بعدها) .

بالأشعث ، لأنه كان يطلق شعر رأسه ولا يحلقه ولا يعتني به[1] .

ومن الرهبان من ساح في الأرض ، فطاف بلاد العرب وأماكن أخرى ، وهام على وجهه في البوادي وبين القبائل ، لا يهمه ما سيلاقيه من أخطـار ومكاره ، ومنهم من ابتنى له بناءً في الفيافي وفي الأماكن النائيـة ، واحتفر الآبار وحرث البقول ، وعاش عيشة جماعية ، حيث يعاون بعضهم بعضاً في تمشية أمور الدير الذي يعيشون فيه[2] . ومنهم من عاش في قلل الجبال ، بعيداً عن المارة والناس . قال الشاعر :

لو عاينت رهبان دير في القلل لاتحدر الرهبان يمشي ونزل[3]

وقد وقف بعض أهل الجاهلية على أخبار هؤلاء الرهبان وعرفوا بعض الشيء عنهم ، وبهم تأثر بعض الحنفاء على ما يظهر فأخذوا عنهم عادة التحنث والتعبد والانزواء والانطواء في الكهوف والمغاور والأمـاكن النائية البعيدة للتنسك والتعبـد مبتعدين بذلك عن النـاس منصرفين الى التأمل والتفكر في خلق هذا الكون دون أن يدخلوا النصرانية .

وقد نهى الرسول بعض الصحابة مثل (عثمان بن مظعون)،وهو من النصارى في الأصل من تقليد الرهبـان في الإخصاء وفي الامتناع عن الزواج ومن التشدد في أمور أحلها الله للناس[4] . ويظهر أن هذا التشدد إنما جاء اليه وإلى أمثـاله من وقوفهم على حياة الرهبان وعـلى رأيهم وفلسفتهم بالنسبة لهذه الحياة . وفي حق هؤلاء نزلت الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم .

---

١ تاج العروس (١/٦٣٨) .

٢ تفسير الطبري (٢٧/١٢٤) ، روح المعاني (٦/٨ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٧/٨ وما بعدها) ، تفسير الخازن (٧/٢٣٣ وما بعدها) ، تفسير أبي السعود (٤/١٤١ وما بعدها) .

٣ تفسير الطبري (٧/٤) .
لو أبصرت رهبان دير في الجبل لاتحدر الرهبان يسعى ويصل
تفسير القرطبي ، الجامع (٦/٢٥٨) .

٤ الدر المنثور (٢/٣٠٧) ، مجمع البيان في تفسير القرآن (٧/٦ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (٦/٢٦٠ وما بعدها) ، مجمع البيان (٢٧/١٥٨) ، (طبعة دار الفكر . بيروت) ، الدر المنثور ، للسيوطي (٢/٣٠٧) ، روح المعاني (٧/٣) ، (٢٧/١٦٥) .

ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »[1] . وذكر أن الرسول لما سمع بابتعاد (عثمان) من أهله ، دعاه ، فنهاه عن ذلك . ثم قال : « ما بال أقـوام حرموا النساء والطعام والنـوم ! ألا اني أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء ، فمن رغب عن سنتي ، فليس مني . فنزلة الآيـة : يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا . يقول لعثمان لا تجب نفسك. فإن هذا هو الاعتداء»[2].

وورد في الحـديث : « لا صرورة في الإسلام » ، والصرورة التبتل وترك النكاح ، أي ليس ينبغي لأحد أن يقول لا أتزوج ، لأن هذا ليس من أخلاق المسلمين ، بل هو من فعل الرهبان . وهو معروف في كلام العرب . ومنه قول النابغة :

لو أنها عرضت لأشمط راهب عبـد الإلـه صرورة متعبد

يعني الراهب الذي ترك النساء[3] .

وقد أشير الى الرهبان في شعر امرىء القيس ، إذ أشار فيه الى منارة الراهب التي يمسي بها يتبتل فيها الى الله ، وعنده مصباح يستنير بنوره[4] . كما أشار فيه اليه وهو في صومعته يتلو الزبور ونجم الصبح ما طلعا[5]، دلالة على تهجده وتعبده في وقت يكون الناس فيه نياماً . كما أشير اليهم في شعر شعراء جاهليين آخرين مثل (النابغة الذبياني) ، الذي أشار الى ركوع الراهب يدعو ربه فيه ويتوسل اليه[6] . كما أشار الى موقف الراهب من رؤية امرأة جميلة ، وكيف سيرنو اليها

---

١ المائدة ، الاية ٨٧ .

٢ تفسير الطبري (٦/٧) ، روح المعاني (٧/٧) .

٣ تاج العروس (٣٣١/٣) ، (صرر) .

٤ تضيء الظـلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهـب متبتـل
النصرانية (الجزء الثاني ، القسم الاول ، ص ١٧٥) .

٥ كأنـه راهب في رأس صومعـة يتلو الزبور ونجم الصبح ما طلعا
النصرانية (حـ ٢ ، قسم ٢ ، ص ٣٩٢) .

٦ سيبلغ عذرا أو نجاحا من امرىء الى ربـه رب البريـة راكع
دائرة المعارف الاسلامية « الترجمة العربية » (٩/١٠) ، النصرانية ، الجـزء الثاني ، القسم الـاني (ص ٣٩٤) .

حتى وان كان راهباً اشمط[1] . وقد أشار الى (ثوبي راهب الدير) والى الحلف بثوبيه[2] .

وورد في الشعر ما يفيد بانقطاع الرهبان في الأماكن الصعبة القصيّة مثل قلل الجبال وذراها ، حيث لا يأتيهم الناس ، فيعيشون في خلوة وانقطاع عن البشر[3]. ومن الأماكن التي اشتهرت بوجود الرهبان فيهـا أرض مدين[4] . ووادي القرى ومنازل تنوخ وصوران وزبد[5] .

وقد سبح الرهبان ورجال الدين ، الله ، في الكنائس وفي الأديرة بألحان عذبة جميلة ، ورتلوا الزبور والأسفار المقدسة الأخرى . وقـد عرف الجاهليون ذلك عنهم ، وأشاروا الى ذلك في شعرهم ، وربما كان بعضهم يحضر تلك التراتيـل ويستأنس بها على الرغم من وثنيته وعدم اعتقاده بالنصرانية .

ويقال للراهب الزاهد ، الذي ربط نفسه عن الدنيا : الربيط . وقيـل له : الحبيس . وذكر أن الربيط ، هو المتقشف الحكيم[6] ، وأن الحبيس هو الذي حبس نفسه في سبيل الله ، فقبعوا في الأديرة وابتعدوا عن الناس . فصاروا كالحبساء[7].

---

١ تفسير الفرطبي ، (٢٥٨/٦) .
لو أنها عرضت لاشمط راهب عبـد الالـه صرورة متعبـد
كرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخالـه رشـدا وان لم يرشد

٢ تاج العروس (٢٨١/١) .

٣ لو كلمت رهبان دير في الفلل لانحدر الراهب يسعى فنـزل
اللسان (٤٣٧/١) « صادر » ، تاج العروس (٢٨١/١) ، المقريزي ، السلوك في معرفة سير الملوك (١٨٢/١) ، تفسير الطبري (١٥٨/٢٧) ، « البابـي » ، الكشاف (٣١/٢) ، الدر المنثـور (١٧٧/٦) ، تفسير الخازن (٢١٦/٢) ، (٢٣٢/٤) .
لو أنهـا عرضت لاشمط راهب في رأس مسرفة الذرى متبتل
الاغاني (٩٢/١٩) « دار النفافة بيروت » . وقد نسب هذا الشعر الى ربيعة بـن مقروم الضبيعي . وقد مر النصف الاول من هذا البيت من شعر نسب الى النابغـه الدبياني في تفسير القرطبي (٢٥٨/٦) .

٤ قال جرير :
رهبان مدين ، لو رأوك تنزلوا والعصم ، من سعف العقول ، الغادر
اللسان (٤٣٧/١) « صادر » ، تفسير الطبري (٤/٧) .

٥ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٩٦ وما بعدها) .

٦ تاج العروس (١٤٣/٥) ، القامـوس المحيـط (٣٦١/٢) ، المقريزي ، سير (١٨٢/١) ، البلدان (٢١٣/٢) « صادر » .

٧ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٩٧) ، البلدان (٢١٣/٢) .

ويقال للراهب : المقدسي . والمقدس الراهب . وصبيان النصارى يتبركون به، ويتمسحون بملابسه تبركاً[1] . كما قيل له : المتعبد ، والأعابد[2] ونسب الى (امرىء القيس) هذا البيت :

فأدركنه يأخـــذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدسي

ويروى المقدس ، وهو الراهب ينزل من صومعته الى بيت المقدس ، فيمزق الصبيان ثيابه تبركاً به[3] .

وأما (النهامي) ، فهو صاحب الدير ، أو الراهب في الدير[4] .

ومن الألفاظ التي شاعت بين النصارى ووصل خبرها إلى الجاهليين ، لفظة : (الأبيل) ، وقد اتخذوها للدلالة على رئيس النصارى . وذكر بعض أهل الأخبار انها تعني أيضاً (المسيح) . وقد كانوا يعظمون الأبيل فيحلفون به كما يحلفون بالله . وهي من الألفاظ المعربة عن السريانيـــة (ابيلو) Abilo ، ومعناها في السريانية الزاهد والناسك والراهب . وكانوا يتخذون عادة رؤساءهم من الرهبان المتبتلين[5] . وقد وردت لفظة (الأبيل) في الشعر الجاهلي ، في شعر : الأعشى وفي شعر عدي بن زيد . وورد (أبيل الأبيلين) ، وأريد بذلك المسيح[6]. وذكر ان (الأبيل) هو صاحب النـــاقوس ، والراهب أيضاً[7] . وان (الأيبلي) ، هو ضارب الناقوس . و (الأيبل) ، العصا التي يدق بها الناقوس[8] . قال الأعشى:

---

١ اللسان (٦/١٦٩) « صادر » .
٢ اللسان (٣/٢٧٢) .
٣ تاج العروس (٦/٣٩٠) ، (شبرق) .
٤ تاج العروس (٩/٨٨) ، نهم) ، المخصص (١٣/١٠٠) .
٥ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٩٠) ، غرائب اللغة (١٧٢) .
٦ قال ابن عبد الجن ، وقيل عمرو بن عبد الحق :

أمـا ودمـــاء مائرات تخالهـــا على قنة العـــزى أو النســر عندما
وما قدس الرهبان في كل هيكل أبيل الأبيلين ، المسيح بن مريـــما
لقد ذاق منا عامـــر يوم لعـــلع حساما، اذا ما هـــز بالكف صمما

اللسان (١١/٦ وما بعدها) ، (أبل) ، (صادر) .
٧ اللسان (١١/٦ وما بعدها) ، تاج العروس (٧/١٩٩) . الآب مرمرجي ، معجميات عربية سامية (١٣١ وما بعدها) ، شعراء النصرانية ، لشيخو (٤٥٣) ، المخصص (١٣/١٠٠) .
٨ ديوان الأعشى (٥٣) « المطبعة النموذجية ، ١٩٥٠ م » .

وما أيبليّ على هيكـــل بناه وصلب فيه وصارا
يراوح من صلوات المليـك طوراً سجوداً وطوراً جؤارا

يعني بالجؤار الصياح . إما بالدعاء وإما بالقراءة [1] .

والساعور من أسماء المسيح وهو من أصل (سوعورو) So'ouro ، بمعنى زائر . وتطلق اللفظة على من يزور القرى ويطلع على أحوالها وذلك بأمر من الأسقف [2] . وذكر علماء اللغة أن اللفظة من الألفاظ المعربة عن السريانية، وأن الأصل (ساعورا)، ومعناه متفقد المرضى ، وتطلق اللفظة على مقدم النصارى في معرفة علم الطب [3] .

ويقال لخادم البيعة: الجلاذي [4] . وذكر أن (الجلذي) الراهب والصانع والخادم في الكنيسة . قال ابن مقبل :

صوت النواقيس فيه ما يفرطه أيدي الجلاذيّ جون ما يغضينا [5]

و (الكنيس) و (الكنيسة) موضع عبادة اليهود والنصارى ، فهما في مقابل (المسجد والجامع) عند المسلمين . والكلمة من الألفاظ المعربة عن الآراميـة ، وتعني لفظة « Knouchto » (كنشتو) (كنشت) في السريانيـة ، اجتماع ، ومجمع وأطلقت بصورة خاصة على كنيس اليهود [6] . ولهذا نجد العرب يطلقونهـا على معبد اليهود كذلك . ويقال في العبرانية للكنيس (كنيستا)، بمعنى محل الصلاة . ونجد الكتب العربية تفرق بين موضع عبادة اليهود وموضع عبادة النصارى ، فتطلق (الكنيس) على موضع عبادة اليهود و(الكنيسة) على موضع عبادة النصارى. وقد ذهب بعض علماء اللغة ، الى أن الكنيسة ، هي متعبد اليهود ، وأما (البيعة) ،

---

١ تفسير الطبري (٨٢/١٤) .
٢ غرائب اللغة (١٨٧) .
٣ تاج العروس (٤٦٨/٣) « الخيرية » ، النصرانية ، القسم الاول (١٩٤) ، القاموس (٤٨/٢) .
٤ اللسان (١٤/٥) « المطبعة الأميرية » ، (٤٨٢/٣) « صادر » ، تاج العروس (٥٥٧/٢) .
٥ تاج العروس (٥٥٧/٢) ، (ما يعفينا) ، اللسان (٤٨٢/٣) ، (صادر) .
٦ غرائب اللغة (ص ٢٠٤) ، النصرانية وآدابها ، شيخو (٢٠١/٢ وما بعدها) ، « الطبعة الثانية بيروت ١٩٣٣ » .

فهي متعبد النصارى[1] . وقد عرف علماء اللغة العرب ، أنها من الألفاظ المعربة ، فقالوا : وهي معربة ، أصلها كنست[2] .

وقد زوّق النصارى كنائسهم ، وجمّلوها ، وزيّنوها بالصور وبالتماثيل ، ووضعوا الصلبان على أبوابها وفي داخلها . ووضعوا بها المصابيح لإنارتها في الليل، وكانوا يسرجون فيها السرج ، وجعلوا بها النواقيس ، لتقرع ، فترشد المؤمنين بأوقات الصلوات ، ولتشير اليهم بوجود مناسبات دينية ، كوفاة ، أو ميلاد مولود ، أو عرس وأمثال ذلك . ومن الكنائس التي اكتسبت حرمة كبيرة عند النصارى العرب : كنيسة القيامة ، وكنيسة نجران ، وكنيسة الرصافة . وقد أشير في شعر للنابغة الى (صليب على الزوراء منصوب) ، أي على كنيسة .

والتمثال الشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله ، أي من انسان أو حيوان أو جماد[3] . وأدخل العلماء الصور في التماثيل . وقد كانت الكنائس مزينة بالتماثيل والصور ، تمثل حوادث الكتاب المقدس وحياة المسيح . ونظراً الى محاربة الاسلام للأصنام ، والى كل ما يعيد الى ذاكرة الانسان عبادة الأصنام والصور ، ورد النهي عنها في الاسلام . جاء في الحديث : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون »[4] .

وقد كان الروم يمدّون الكنائس والمبشرين بالمال وبالفعلة وبالمساعدات المادية لبناء الكنائس والأديرة . والكنائس والأديرة وإن كانت بيوت تقوى وعبادة ، كانت بيوت سياسة ودعوة وتوجيه . ونشر النصرانية مهما كان مذهبها ولونها ، مفيد للروم ، فالنصراني مهما كان مذهبه لا بد ان يميل الى اخوانه في العقيدة والدين . ففي انتشار النصرانية فائدة من هذه الناحية كبيرة للبيزنطيين .

وفي العربية لفظة أخرى للكنيسة ، إلا أنها لفظة خصصت بكنيسة معينة ، هي الكنيسة التي بناها أبرهة بمدينة صنعاء ، واللفظة هي : (القُلّيس) . وللأخباريين آراء في معناها وفي أصلها ، بنيت على طريقتهم الخاصة في ايجاد التفاسير للكلمات القديمة من عربية ومن معربة ، التي لا يعرفون من أمرها شيئاً . وهي لذلك

---

١ تاج العروس (٤/٢٣٥) .
٢ اللسان (٦/١٩٩) ، تاج العروس (٤/٢٣٥) .
٣ تاج العروس (٨/١١١) ، (مثل) .
٤ تفسير الطبري (٢٢/٤٩) ، تفسير القرطبي (٤/٢٧٣ وما بعدها) .

لا تفيدنا شيئاً . والكلمة أعجمية الأصل ، عربت ، وشاع استعمالها ، حتى ظن انهـا اسم تلك الكنيسة . أخذت هذه اللفظة من أصل يوناني هـو (أكليسيا) « Ekklesia » ، ومعنـاه في اليونانية المجمع ، أي الكنيسة . والظاهر أن أهل صنعاء سمعوا اللفظة من الحبش ، حينما كانوا يذهبون الى الكنيسة ، فصيّروهـا اسم علم على هذه الكنيسة ، ولم يدروا أنها تعني الكنيسة ، أي موضع عبادة[1] .

والصوامع والبيع هما من الألفاظ التي استعملها الجاهليون للدلالة عـلى مواضع العبادة عند النصارى . وقد ذهب العلماء الى أن البيعة من الألفاظ المعربة[2]. أخذت من السريانية . وأصل اللفظة في السريانية ، هو (بعتو) بمعنى بيضة ، وقبة ، لأنها كانت قبة في كثير من الكنائس القديمة[3] . وقد استعملت في الحبشية كذلك ولذلك ذهب بعضهم الى أنها من الحبشية[4] . وقال علماء اللغة العرب : الصومعـة كل بناء متصمع الرأس ، أي متلاصقه ، والأصمع اللاصقة اذنه برأسه[5] . وقـد أشير الى (البيع) في القرآن : « ولـولا دفع الله الناسَ بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع »[6] . وقد ذهب بعض علماء اللغة ، الى أن البيعة متعبد اليهود[7] . ولكن أغلبهم على انها متعبد النصارى .

وقد وردت لفظة (بيعـة) في نص (أبرهة) الشهير الذي دوّنه على سد مأرب . ففي هذا النص جملة : (وقدس بعتن) ، أي (وقدس البيعة)[8] .

وذكر ان لفظة (البيعة) قد وردت في شعر ينسب الى ورقة بن نوفل ، حيث زعم انه قال :

أقول إذا صليت في كل بيعة تباركتَ قد أكثرتَ باسمك داعياً[9]

---

١ (الفلّيس) ، (الفليسة) ، اللسان (٦/١٨٠) ، (فلس) ، Ency., II, p. 144, Raccolta, III, p. 127.

٢ المعرب (ص ٨١) .

٣ معجميات (ص ١٠٩ وما بعدها) ، النصرانية وآدابها ، القسم التاني ، الجزء الثاني، القسم الاول (ص ٢١٣) ، غرائب اللغة (١٧٥) .

٤ النصرانية (الثاني) ، القسم الاول (٢١٣) « طبعة ثانية » .

٥ المفردات (٢٨٨) ، اللسان (٨/٢٠٨) ، تاج العروس (٧/٤١١)

٦ الحج ، الآية ٤٠ .

٧ تفسير الطبري (١٥/١٧٥) « البابي » ، اللسان (٨/٢٦) «صادر» .

٨ راجع النص في مجلة المجمع العلمي العراقي (٤/٢١٥) .

٩ الاغاني (٣/١٦) .

كما ذكر انها وردت في كلام أناس من الجاهليين والمخضرمين[1] .

وقد أشير الى ورودها في الشعر الجاهلي وفي بعض الأخبار المنسوبة الى الجاهليين. وردت في شعر منسوب الى (عبد المسيح بن بقيلة) ، وهو كما يظهر من اسمه من النصارى[2] . ووردت في بيت منسوب الى لقيط بن معبد[3] ، وفي شعر ينسب الى الزبرقان بن بدر التميمي[4] . ولا بد ان تكون هذه الكلمة من الكلمات المألوفة عند الجاهليين المتنصرين ، وعند غيرهم ممن كانوا على الوثنية ، غير انهم كانوا على اتصال بالنصارى ، ذلك لأنها من الألفاظ الشائعة المعروفة عند النصارى . وقد كانت البيع منتشرة في المدن وفي القرى والبوادي ، وطالما قصدها الأعراب للاحتماء بها من الحر والبرد وللاستعانة برجالها لتزويدهم بما عندهم من ماء أو زاد أو للتنزه بها واحتساء الشراب .

والصومعة من أصل حبشي هو (صومعت) على رأي بعض المستشرقين . وقد خصصت بـ (قلاية) الراهب[5] . أي مسكن الرهبان . وبهذا المعنى وردت في القرآن . ويقول علماء اللغة ، أنها على وزن فوعلة ، سميت صومعة ، لأنها دقيقة الرأس . وهي صومعة النصارى[6] . وذكر بعض منهم أن الصومعة كل بناء متصمع الرأس ، أي متلاصقة[7] . وقد سميت صومعة لتلطيف أعلاها[8] . ويدل ورود هذه اللفظة بصورة الجمع في القرآن الكريم ، على وقوف الجاهليين على

---

١ ابن هشام (٩٣٥) « طبعة ليدن » ، تاج العروس (٥/٢٨٥) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢٠١ وما بعدها) .

٢ كم تجرعت بديـر الجرعـة غصصـا كبدي بهـا منصدعه
من بـدور فوق أغصـان على كنـب زرن احنسـابا بيعـه
البلدان (٤/١٢٠) « دير الجرعة » ، النصرانية ، القسم النـاني ، الجزء الثانى (٢٠٢ وما بعدها) .

٣ تامت فؤادي بذات الخال خرعبة مـرت تريد بذات العـذبة الببعا
تاج العروس (٥/٢٨٥) ، النصرانية ، القسم الثاني ، الجزء الماني (٢٠٢) .

٤ نحن الـكرام ، فلاحـي يعادلنا منا الكرام ، وفينـا تنصب البيع
ابن هشام (١/٩٣٥) ، النصرانية ، القسم الثاني ، الجزء الثاني (٢٠١) .

٥ معجميات (ص ١٠٩ وما بعدها) ، Raccolta, III, p. 127.

٦ اللسان (١٠/٧٦) ، معجميات (ص ١٥٣) ، تاج العروس (٧/٤١١) ، النصرانيه ، الفسم الناني ، الجزء الماني (١٧٤ ، ٢١٣) .

٧ مفردات ، الاصفهاني (ص ٢٨٨) .

٨ اللسان (٨/٢٠٨) « صادر » .

الصوامع ووجودها بينهم[1] . وقد كان الرهبان قد ابتنوا الصوامع وأقاموا بها للعبادة بعيدين في مختلف أنحـــاء جزيرة العرب ، ومنها الحجاز . وقد وقف الجاهليون عليها ، ودخلوا فيها . أما تجارهم ممن قصد بلاد الشأم والعراق ، فقد رأوا في طريقهم الى تلك الأرضين ، وفي تلك الأرضين بالذات ، حيث انتشرت فيهـــا النصرانية صوامع كثـــيرة . ونجد في كتب الأخبار أمثلة عديدة تشير الى دخول تجار مكة الصوامع في بلاد الشأم وفي وادي القرى ، للحصول على ملجأ أو عون .

والقُلاّية ، وهي كالصومعة ، يتعبد فيها الرهبان ، وهي من الألفاظ المعربة ، عربت من أصل يوناني هو « Kelliyon » ، ومعناه غرفـة راهب أو ناسك[2] . ومن هذا الأصل انتقلت اللفظة الى السريانية فصارت (قلّيتا) ، فانتشرت بين نصارى بلاد الشأم بصورة خاصة ثم بقية النصارى ، منها دخلت العربية . وقد عرف علماء العربية انها من الألفاظ المعربة ، فقالوا : هي تعريب كلاذة ، وهي من بيوت عباداتهم ، أي عبادات النصارى . وقد وردت في الحديث ، كما ورد ذكرها في صلح عمر مع نصارى الشام ، حيث كتبوا له كتاباً : إنا لا نحدث في مدينتنا كنيسة ولا قلية[3] . والظاهر ان النصارى توسعوا في المعنى ، فأطلقوها على المنازل التي يسكنها الرهبان ، ثم توسعوا فيها فأطلقوها على دور المطارنة والبطارقة ، وأصلها بمعنى الأكواخ[4] .

ولفظة (الدير) هي من الألفاظ النصرانية الشهيرة المعروفة بين العرب . وهي أكثر اشتهاراً من الألفاظ الأخرى التي لهـــا علاقة بمواضع العبادة أو السكن عند النصارى ، وذلك لانتشارها ووجودها في مواضع كثيرة من العراق وبـــلاد الشأم وجزيرة العرب . ولمرور التجار وأصحاب القوافل والمارة بها ، واضطرارهم الى الاستعانة بأصحابها وباللجوء اليها في بعض الأحيان . كما كانت محلاً ممتازاً للشعراء ولأصحاب الذوق والكيف ، حيث كانوا يجدون فيها لذة ومتعة تسر العين والقلب ، من خضرة ومن ماء بارد عذب ومن خمر يبعث فيهم الطرب والخيـال ، ولذلك

---

١ سورة الحج ، الرقم ٢٢ ، الآية ٤٠ ، النهاية ، لابن الاثير (٢/١٢٠) ، تفســـير الطبري (١٥/١٧٥) .

٢ عرائب اللغة (ص ٢٦٥) ، المصرابيه ، الجزء الباني ، القسم الاول (ص ٢١٣) .

٣ النهاية (٣/٣٠٩) ، البكري ، معجم (٢/٥٨٣) ، اللســـان (٢٠/٦٣) ، تاج العروس (٨/٨٦) ، (فلل) .

٤ معجميات (ص ١٨٠ وما بعدها) .

أكثر الشعراء في الجاهلية والاسلام من ذكـــر الأديرة في شعرهم . حتى الشعراء النصارى مثل (عدي بن زيد العبادي) ، يترنم في شعره بذكـــر الدير ، لأنه نادم فيه (بني علقما) ، وعاطاهم الخمر ممزوجة بماء السماء[1] .

ولفظة (الدير) هي مثل أكثر الألفاظ النصرانية من الألفاظ المعربة . عربت من أصل سرياني ، هو (دير) Dayr ، بمعنى دار ، أي بيت الراهب[2] . ومسكنه ، ولا سيما المحصّن ، ثم خصوا بها مسكن الرهبان[3] . وقد عرف علماء العربية أن الدير هو مسكن النصارى ، يتعبد فيه الرهبان ويسكنون به ، وقـــد ذكر (ياقوت الحموي) أن الدير بيت يتعبد فيه الرهبان ، ولا يكاد يكون في المصر الأعظم ، وإنما يكون في الصحاري ورؤوس الجبال ، فإن كان في المصر الأعظم فإنه كنيسة أو بيعة[4] غير أن الأديرة تكون في كل مكـان ، تكون في القرى وتكون في المدن كما تكون في البوادي وفي رؤوس الجبال[5] .

و (الديراني) ، صاحب الدير ، وقد ذكر بعض العلماء أن الديراني صاحب الدير الذي يسكنه ويعمره . نسب على غير قياس . ويقال للرجل اذا رأس أصحابه هو رأس الدير[6] .

ولا تقتصر الأديرة على الرجال ، فللراهبات أديرة أيضاً . ويقضي أصحاب الأديرة وقتهم في الزهد والتقشف والعبادة . والقيام بالأعمال اليدوية التي يوكلها رئيس الدير اليهم[7] . وقد عرف الراهب المعتكف بالدير بـ (الديراني) و (الديرانية) ، هي الراهبة[8] . وقد عرفت أديرة الراهبات بـ (أديرة العذارى) كذلك .

---

١ نادمت في الـــدير بنـــي علقما عاطيتهـــم مشمـــولة عندمـــا
كأن ريح المســـك من كأسهـــا اذا مزجناهمـــا بمـــاء السمـــا
البلدان (٢/٦٣٩ ، ٦٨٠) ، (٢/٤٤٩) « بيروت » ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) ، المخصص (١٣/١٠٠ وما بعدها) .

٢ غرائب اللغة (ص ١٨٢) .

٣ النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) .

٤ معجم البلدان (٢/٦٣٩) ، (٦/٦٣٩) .

٥ اللسان (٥/٢٨٧) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) .

٦ اللسان (٥/٣٨٧) ، تاج العروس (٣/٢٣١) .

٧ البلدان (٢/٦٣٩) ، (٤/٤٥١) .

٨ النصرانية ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) ، الشعر ، لابن قتيبة (٢٢٩) .

واذ كان لهذه الأديرة حرمة في نفوسهم، فقد كانوا يعقدون فيها عقودهم ويحلفون بها على نحو ما كان يفعله الوثنيون في معابدهم حيث كانوا يقسمون الايمان ويتعاقدون أمام الأوثان ، فكان للنصارى في الحيرة دير السوا ، وفي هذا الدير كانوا يتناصفون ويحلفون بعضهم لبعض على الحقوق[1] .

وفي الآرامية لفظة هي (عمرو) Oumro ، وقد صارت (العمر) في العربية . ويراد بها البيعة والكنيسة والدير ودار[2] . وقد وردت في شعر (المتلمس) ، حيث جاء :

ألك السديرُ وبارق ومبايض ولك الخورنق
والعُمر ذو الأحساء واللذات من صاع وديسق[3]

وعرفت العربية لفظة (الكرح) ، و (الأكيراح) ، وقد عرفها علماء العربية بقولهم : « الأكيراح : بيوت ومواضع تخرج اليها النصارى في بعض أعيادهم »[4] . واللفظة من أصل سرياني هو (كرحو) « Kourho » ، بمعنى كوخ ، ومسكن حبيس ، وبيت ناسك وراهب[5] . وذكر ياقوت الحموي : ان « الأكيراح بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالي لهم »[6] . وهناك دير اسمه (الأكيراح) ، ورد في شعر لأبي نؤاس ، ويقع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياحين ، وبالقرب منه ديران ، يقال لأحدهما دير عبد ، وللآخر دير هند[7] .

والمحراب من الألفاظ التي استعملها النصارى في أمور دينهم كذلك ، إذ أطلقوها على صدر كنائسهم . وقد استعملت في الاسلام أيضاً ، حيث يشير الى القبلة ، ويؤم الإمام فيه المصلّين . وقد ذكر بعض علماء اللغة ، ان محاريب

---

١ البلاذري ، فتوح (٢٩٢) .
٢ غرائب اللغة (ص ١٩٦) .
٣ البكري ، معجم (٦٩٦) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٣) ، تاج العروس (٣/٣٢٠) .
٤ يا ديـر حنة من ذات الأكـيراح من يصح عنك فانى لست بالصاح
اللسان (٣/٤٠٥) ، البكرى ، معجم (٤/٥٧٥) ، المخصص (١٣/١٠٢) .
٥ غرائب اللغة (ص ٢٠٣) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثانى ، القسم الاول (ص ٢١٢ ، ٢١٤) .
٦ البلدان (١/٣٤٥) .
٧ البلدان (١/٣٤٥) .

بني اسرائيل مساجدهم التي كانوا يصلّون فيها [1] . وقد وردت لفظة المحراب في أشعار بعض الجاهليين [2] . كما وردت في القرآن الكريم [3] ، وفي الشعر الجاهلي [4] .

وذكر علماء التفسير أن المحراب كل موضع مرتفع . وقيل للذي يصلي فيه : محراب ، وذكروا أن المحاريب دون القصور ، وأشرف بيوت الدار . قال عدي ابن زيد العبادي :

كدمى العاج في المحاريب أو كالبيض في الروض زهره مستنير [5]

وذكر علماء العربية لفظة (التامور) (التأمور) ، في جملة الألفاظ المتعلقة بالرهبان والرهبنة . وقد عرفها بعضهم بأنها صومعة الراهب وناموسه [6] .

وذكر أن (القوس) ، بمعنى الدير والصومعة أو موضع الراهب . أو معبد الراهب [7] . وذكر أن أصل الكلمة من الفارسية [8] .

وذكر أن (الغربال) ، هو مكان أيضاً من أمكنة الرهبان ، وأنه كهيئة الصومعة في هندسة بنائه وارتفاعه . وأنه كل بناء مرتفع . ويظهر أنها من الألفاظ المعربة [9] .

والاسطوانة ، وهي السارية من الألفاظ النصرانية التي وقف عليها الجاهليون . وقد اتخذها العرب بمعنى العمود الذي كان يتعبد فوقه بعض الرهبان المعروفين بالعموديين Stylites . وقد أشير الى (اسطوان) في شعر نسبوه الى (ذي الجدن) . وفسرت لفظة (الاسطوان) ، و (الاسطوانة) ، بأنها موضع الراهب المرتفع [10] .

---

١ النصرانية ، الجزء الثاني القسم الاول (١٧٤) .
٢ اللسان (١/٣٠٥) ، النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٧٤) ، اللسان (٧/١٧) .
٣ آل عمران ، الآية ٣٧ ، ٣٩ ، مريم ، الآية ١١ ، ص ، الآية ٢١ .
٤ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٧٤) .
٥ تفسير الطبري (٢٢/٤٨) ، تفسير القرطبي (١٤/٢٧١) .
٦ النصرانية وآدابها ، القسم الناني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) ، تاج العروس (٣/٢٠) ، (أمر) .
٧ اللسان (٨/٦٩) ، معجم البلدان (٤/٢٠٠) .
٨ النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الناني ، القسم الاول ، (ص ٢١٤) .
٩ تاج العروس (٧/٤١٦) ، البلدان (٣/٥٢٥) ، النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢١٣) .
١٠ النصرانية ، الجزء الناني ، القسم الاول (٢١١) ، البلدان (١/٣٤٥) ، المخصص (١٣/١٠٠ وما بعدها) .

و (المنهمة) مسكن النهّام ، والنهامي ، هو الراهب . وأمـا المنهمة فموضع الراهب[1] .

ووردت في شعر للأعشى لفظة (الهيكل) . إذ قال :

وما أيبلي على هيكل بناه وصلّب فيه وصارا[2]

ويذكر علماء اللغة ، ان الهيكل : بيت النصارى فيه صورة مريم وعيسى ، وربما سُمّي به ديرهم . وان الهيكل:العظيم واستعمل للبناء العظيم ، ولكل كبير ، ومنه سمي بيت النصارى الهيكل[3] . واللفظة من الألفاظ المعربة ، وهي ترد في العبرانية (هيكل) وفي الآرامية (هيكلو) . وتعني في اللغتين المعبد الكبير ومعبد الوثنيين[4] .

وقد كان الرهبـان وبقيـة رجال الدين وكذلك الأديرة والكنائس يستعملون المصابيح والقناديل للاستضاءة بهما . ويعبر عن المصباح بالسراج كذلك[5] . وقـد تركت مصابيحهم وقناديلهم أثراً ملحوظاً في مخيلـة الشعراء فأشير اليها في شعر (مزرد بن ضرار الذبياني) حيث قيل انه قال :

كأن شعاع الشمس في حجراتها مصابيح رهبان زهتها القناديل[6]

وذكر علماء اللغة ان الزيت الذي له دخان صالـح ويوقد في الكنائس ، هو (السليط)[7] .

ولفظة : قنديل من الألفاظ المعربة ، أصلها يوناني هو : « Candela »،أي شمعة[8] . وقد دخلت الى العربية قبل الاسلام ، عن طريق الاتصال التجاري بين جزيرة العرب وبلاد الشأم .

---

١ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢١٤) .
٢ اللسان (٦/١٤٤) ، الأضداد (٢٤) ، النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢٠٣) .
٣ المخصص (١٣/١٠٠ وما بعدها) ، اللسان (١٤/٢٢٥) ، العقد الثمين (١٨) ، النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢٠٢) .
٤ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢٠٢) ، غرائب اللغة (٢٠٩) .
٥ المفردات ، للاصفهاني (ص ٦٧٤) .
٦ المفضليات (٣٦) « طبعة السندوبي » .
٧ تاج العروس (٥/١٥٨) ، اللسان (٧/٣٢٠) ، (سلط) .
٨ غرائب اللغة (٢٧٩) .

وكان النصارى العرب يتقربون الى رجال دينهم ويتبركون بهم ويحترمونهم حتى قيل إن الصبيان منهم كانوا إذا رأوا الراهب ينزل ليذهب الى بيت المقدس أو غيره خرجوا له فتمسحوا به ولثموا ثيابه ، حتى يمزقوا أثيابه . والى ذلك أشير كما يقول أهل الأخبار – في شعر امرىء القيس :

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس[1]

ولبس رجال الدين ملابس خاصة لتميزهم عن غيرهم ، غلب عليها السواد. وقد اختصت لفظة (المسح) و (المسوح) بالملابس التي كان يلبسها الزهّاد والرهبان .

ومن أهم العلامات الفارقة التي ميزت معابد النصارى عن معابد اليهود والوثنيين: (الناقوس) ، الذي ينصب فوق سطوح الكنائس وفي منائرها ، للاعلان عن أوقات العبادات ولأداء الفروض الدينية ، وهو عند الجاهليين خشبة طويلة يقرع عليها بخشبة أخرى قصيرة يطلقون عليها لفظة (الوبيلة) و (الوبيل) . وهو في مقابل البوق عند يهود يثرب ، اذا أرادوا الاعلان عن موعد العبادة . وقد عرف هذا البوق بين عرب يثرب بـ (القنع) أيضاً[2] ، وبـ (الشبور)[3] . وقد ذكر علماء اللغة ان الشبور « شيء يتعاطاه النصارى بعضهم لبعض كالقربان يتقربون به». وقال بعضهم : هو القربان بعينه . وذكروا ان الشبور شيء ينفخ فيه ، فهو البوق عند اليهود ، وهو معرّب وأصله عبراني[4] .

وقد وردت كلمة (الناقوس) في الشعر الجاهلي : وردت في بيت للشاعر المتلمس[5]،

---

١ المعاني الكبير (٢/٧٦٤) .

٢ القنع ، وورد القبع والفنع والفنع ، اللسان (١٠/١٣١) .

٣ عمدة القارىء (٥/١٠٢ وما بعدها) ، اللسان (٨/١٢٦) .

٤ اللسان (٦/٥٩) ، تاج العروس (٣/٢٨٩) ، (شبر) ، « وقد نفس بالوبيل النافوس » ، تاج العروس (٤/٢٦٢ وما بعدها) .

٥ حنت فلوصي بها والليل مطرق بعد الهدو وشافتها النوافيس

ديوان المتلمس (١٧٨) ، (طبعة فولرس) ، (لايبزك ١٩٠٣) .

وفي شعر للمرقش الأكبر[1] ، وللأعشى[2] ، وللأسود بن يعفر[3] . وقد أشير في هذه الأبيات الى قرع النواقيس بعد الهدوء إيذاناً بدنو الفجر وحلول وقت الصلاة . وقد كانت هذه النواقيس في القرى وفي الأديرة ، يقرعها الرهبان والراهبات والقسيسون[4] . وقد أدخل بعض علماء اللغة هذه الكلمة في جملة الألفاظ المعربة التي دخلت العربية من أصول أعجمية[5] . واللفظة من أصل (سرياني) هو (ناقوشا)[6] .

أعياد النصارى :

وقد ذكر أهل الأخبار أسماء أعياد نصرانية ترجع أصول تسميتها في الأكثر الى لغة بني إرم، ويظهر أن أولئك الأخباريين تعرفوا عليها في الاسلام باختلاطهم وباتصالهم بالنصارى ، إذ لم يشيروا الى ورود أكثرها في الشعر الجاهلي ، ومن عادتهم أنهم إذا عرفوا شيئاً كان معروفاً عند الجاهليين جاؤوا ببيت أو أبيات يستشهدون بها على ورودها عند الجاهليين .

ومن الأعياد التي ورد فيها شاهد في الشعر الجاهلي ، (السباسب) ، وهو (يوم السعانين) و (الشعانين) . وقد وردت كلمة السباسب في بيت للنابغة قاله في عيد السعانين عند بني غسّان ، هو :

---

١ وتسمع تزقاء من البوم حولنا كما ضربت بعد الهدوء النواقس
المفضليات (٤٦٥) ، النصرانية (٢٠٧) .

٢ وكأس كعين الديك باكرت حدها بعتيان صدق والنوافيس تضرب
تاج العروس (٢/٣٣١) ، (حد) ، ويروى لعنترة ، العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين (١٧٩) ، (طبعة الوردت) ، (Ahlwardt) ، (باريس ١٩١٣)، النصرانية (٢٠٧) .

٣ وقد سبأت لفتيان ذوي كرم قبل الصباح ولما تفرع النقس
اللسان (٨/١٢٦) ، (نقس) ، تاج العروس (٤/٢٦٣) .

٤ النصرانيه (٢٠٧) .

٥ عمدة القارىء (٥/١٠٣) ، المعرب (٣٣٩)) .

٦ Shorter Ency., p. 437.

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب[1]

و (السعانين) و (الشعانين) من أصل عبراني (هوشعنا) . وقد وردت هذه الكلمة في صحيفة صلح (عمر) مع نصارى الشأم ، وردت معها لفظة أخرى من الألفاظ النصرانية كذلك هي (الباعوث)[2] ، وهي رتبة تقام في اليوم الثاني من عيد الفصح[3] ، وصلاة لثاني عيد الفصح في بعض الطوائف[4] . وقد ذكرها علماء اللغة في جملة الألفاظ المعربة ، والإرمية الأصل ، وجعلها بعضهم (الباغوث). وذكروا انها (استسقاء النصارى) ، وان (عمر) لما صالح نصارى الشام ، كتبوا له ان لا نحدث كنيسة ولا قلية ولا نخرج سعانين ولا باعوثاً[5] .

و (خميس الفصح) من أعياد النصارى كذلك . وهو بعد السعانين بثلاثة أيام ، وكانوا يتقربون فيه بالذهاب الى الكنائس والبيع[6] .

وقد أشير الى عيد (الفصح) في بيت للأعشى يمدح فيه (هوذة بن علي) لتوسطه لدى الفرس بالافراج عن مئة أسير من أسرى بني تميم همّ الفرس بقتلهم ، وذلك لمناسبة يوم الفصح . وقد كان نصارى الجاهلية يحتفلون به ، فيوقدون المشاعل ، ويعمرون القناديل ، ويضيئون الكنائس بالمسارج ويقصدونها للاحتفال بها ، حتى قيل للقنديل الذي يعمر لهذا اليوم (قنديل الفصح)[7] .

---

١ « والسباسب أيام السعانين . وفي الحديث ان الله تعالى أبدلكم بيوم السباسب يوم العيد . يوم السباسب عيد للنصارى ، ويسمونه يوم السعانين » ، تاج العروس (١/٢٩٣) ، النصرانية (٢١٥) ، غرائب اللغة (٢١٢) ، عن « أحد الشعانين » راجع المشرق : السنة الثامنة ، الجزء ٨ ، السنة ١٩٠٥ م ، (ص ٣٣٧ وما بعدها) .

٢ « أن لا يحدثوا كنيسة ولا قلية ، ولا يخرجوا سعانين ولا باعوثا » ، « ويوم السعانين عيد للنصارى . وفي حديث : شرط النصارى ولا يخرجوا سعانين . قال ابن الأثير: هو عيد لهم معروف . قبل عيدهم الكبير باسبوع . وهو سرياني معرب . وقيل : هو جمع واحده سعنون » ، اللسان (١٧/٧١) ، (سعن) ، (١٣/٢٠٩) ، (صادر) .

٣ النصرانية (٢١٧) .

٤ غرائب اللغة (١٧٣) .

٥ اللسان (١٣/٢٠٩) ، تاج العروس (١/٩٠٣) ، (بعث) ، اللسان (٢/١١٨) ، (بعث) .

٦ الاغاني (٣/٣٢) ، النصرانية (٢١٦) .

٧ قال عدي بن زيد العبادي :

بكروا علي بسحرة فصحبتهم بانا ذي كرم كعقب الحالب
بزجاجة ملء اليدين كأنها قنديل فصح في كنيسة راهب

الاغاني (٩/٥٣) ، اللسان (٣/٣٧٨) ، النصرانية (٢١٦) . وورد في شعر لأوس بن حجر :

عليه كمصباح العزيز ينسبه لفصح ويحشوه الذبال المفتلا

شعراء النصرانية (٤٩٤) ، النصرانية (٢١٦) .

وقيل لاجتماع النصارى واحتفالهم (الهنزمن) ، وذكر أن هذه اللفظة من أصل فارسي هو (هنجمن) أو (أنجمن) ، ومنها دخلت الى السريانيـة فأطلقت على اجتماع النصارى واحتفالهم وتعييدهم[1] .

وقد أشار امرؤ القيس في بعض شعره الى عيد النصارى ، ولبس الرهبان فيه ملابس طويلة ذات أذيال[2] .

وكانت الكنائس والأديرة والأضرحة والمقابر الأماكن التي يقصدهـا النصارى في أعيادهم . فتكـون موضع تجمع ولقاء . كانوا يقصدونها للتقرب الى الرب وللصلوات له . وللتوسل اليه بأن يمن عليهم ويبارك فيهم . وكانوا يقصدون المقابر اظهاراً لشعورهم بأن موتاهم وان فارقوهم وابتعدوا عنهم ، غير أنهم لا زالوا في قلوبهم . وأيام الأعياد من أعز الأيام على الانسان ، لذلك فهي أجدر الأيام بأن تخصص لزيارة بيوت الأرباب وبيوت الموتى : القبور .

---

١ قال الاعشى :

اذا كان هنزمن ورحت مخشـما

اللسان (١٧/٣٢٩) ، تاج العروس (٩/٣٦٨) ، النصرانية (٢١٧) .

٢ فآنست سـربا من بعيد كأنه رواهب عيـد في مـلاء مهدب

النصرانية (١٧٣) .